

**الخدمات والمرافق العامة في مكة  
في العهد العثماني  
( ٩٢٣-١٣٣٥هـ / ١٥١٧-١٩١٦م )**

إعداد

**د. ماجدة صلاح مخلوف**

أستاذ التاريخ العثماني واللغة التركية

كلية الآداب جامعة عين شمس.

**بحث مقدم إلى ندوة  
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ**



## ملخص البحث

مكة المكرمة أول الحرمين وثانى القبلتين، مدينة لها قداستها فى نفس كل مسلم، وقد جعل الله أفئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم، لذا كانت خدمة هذه البقعة المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفا يحرض الحكام فى كل عصر من عصور التاريخ على الظفر به .

والدولة العثمانية ( ٦٩٩- ١٣٤٢هـ / ١٢٩٩- ١٩٢٣م) دولة مسلمة قامت على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد حرص العثمانيون منذ قيام دولتهم على التعبير عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين، وكان الفتح العثماني للشام ومصر عام ٩٢٣-٩٢٤هـ / ١٥١٦- ١٥١٧م، بداية انتقال خدمة ورعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية، وعلى رأس هذه الخدمات هى خدمة الحرمين الشريفين تعميرهما وتوسعتهما، وإرسال الصرة والكسوة الشريفة فى كل عام لأهالى الحرمين الشريفين، ورعاية أهلها وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة. وقد حظي الحرمان الشريفان فى العهد العثماني بحظهما من الدراسات والبحوث، أما المرافق العامة والخدمات التعليمية والصحية والمياه فى مكة فى نفس تلك الفترة العثمانية والممتدة لأربعة قرون، فلم تظفر بنفس القدر من اهتمام الباحثين حسب علمنا، وهذه الورقة تتناول أربع نقاط رئيسية هى المياه، والحياة التعليمية والثقافية، والحالة الصحية والاجتماعية،

والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى ونأمل أن تكون بداية لدراسات موسعة تتناول هذه الجوانب الحضارية من تاريخ مكة المكرمة، والله ولى التوفيق .



بسم الله الرحمن الرحيم

مكة المكرمة أول الحرمين وثانى القبليتين، مدينة لها قداستها فى نفس كل مسلم، وقد جعل الله أهئدة المسلمين معلقة بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأصبح الحج والعمرة مناسبة لاجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف ألسنتهم، لذا كانت خدمة هذه البقعة المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة شرفا يحرص الحكام فى كل عصر من عصور التاريخ على الظفر به.

والدولة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٣م) دولة مسلمة قامت على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد حرص العثمانيون منذ قيام دولتهم على التعبير عن مدى حبهم واحترامهم للحرمين الشريفين، فبدأوا فى رعاية أهله بإرسال الصرة إلى الحجاز، اعتبار من زمن السلطان بايزيد الأول (١٣٨٩-١٤٠٢م)<sup>١</sup>، أى قبل أن يتشرف العثمانيون بخدمة

١ أرسل بايزيد الأول الصرة من العاصمة ادرنة فى عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩ م وكان مقدارها ثمانين ألف ذهب، مخصصة لخدم الحرمين الشريفين وأشرفهما، وسادتهما وعلمائهما من حصلية مئات الأوقاف الموجودة فى الأناضول والتي أوقفها على الحرمين الشريفين، انظر

منطقة الحجاز بأكثر من قرن من الزمان . ثم أرسل مراد الثاني الصرة وكان مقدارها عشرة آلاف فلوري<sup>١</sup>، وأوقف حاصلات قرى منطقة باليق حصار بأنقرة على مكة المكرمة<sup>٢</sup> ثم السلطان محمد الفاتح وأرسل سبعة آلاف ذهب ثم بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢م) وأرسل أربعة عشر ألف دوقة ذهب<sup>٣</sup> كان يجرى توزيعها على الحجيج وسكان مكة والمدينة<sup>٤</sup>. وقد نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين العليفي<sup>٥</sup> قصيدة بعنوان " الدر المنظوم فى مناقب السلطان بايزيد ملك الروم"<sup>٦</sup>، وذلك بمناسبة وصول الصرة العثمانية إلى الحجاز فى زمن السلطان بايزيد الثاني، وتبدأ بقوله:

وسيتم توثيقه فيما بعد، نظيف أوزتورك، مؤسسة الوقف .

١ الفلوري أو الدوقة البندقية عملة ذهبية كانت نساوى فى ذلك التاريخ سبع وخمسين آقجه..

٢ انظر، محمد حرب، خريطة لمنطقة الحرم المكي وتقرير هندسى عنها، مقال فى مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، نوفمبر ١٩٨٧م، ص١٤٩.

٣ نظيف أوزتورك، مؤسسة الوقف، ص ٢٩.

٤ حول كيفية توزيع هذه الصرة انظر،

Mustafa Guler, Osmanli Devletinde Haremeyn Vakiflari(xvi-xvii Yuzyillar) Istanbul 2002,s.203.

وسوف سيتم اختصاره فيما بعد، مصطفى كولر، اوقاف العثمانيين فى الحرمين. وانظر أيضا الملحق رقم ٢.

٥ هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين العليفي، أحد شعراء المدينة المنورة فى زمن السلطان بايزيد الأول ويصفه صاحب مرآة الحرمين أنه كان أحسن الناس فى زمانه، وقد شرف دار السيادة ( بورصه) بزيارته فى صحبة الشيخ محيي الدين بن عبيد القادر بن عبد الرحمن العراقى من خطباء مكة المكرمة، وقدم القصيدة إلى السلطان بايزيد، انظر، أيوب صبرى، مرآة مكة، استانبول ١٣١٠، ج٢، ص ٥٧٨.

٦ كانت الأناضول تعرف حتى ذلك التاريخ باسم بلاد الروم لأنها كانت من قبل تحت حكم الروم أى البيزنطيين، وكان بايزيد يلقب بسلطان الروم أى سلطان المناطق التى كانت فى حوزة الروم.

خذوا من ثنای موجب الحمد والشكر

ومن درّ لفظی طیب النظم والنثر

فرتب له السلطان هدية سنوية يصرفها مدى الحياة مقدارها  
ألف ذهب<sup>١</sup>.

وحرص السلاطين العثمانيون على التواصل مع أمراء مكة  
المكرمة، وإرسال رسائل الفتوح إليهم مباشرة، وكذا الهدايا النقدية  
إليهم وإلى أهالي الحرمين الشريفين والنقباء والقائمين على الخدمة  
فيهما، وذلك قبل أن تكون الحجاز في رعاية الدولة العثمانية. كما  
كان العثمانيون منذ بداية دولتهم مهتمين برعاية السادة والأشراف  
الذين يفدون على الإمارة العثمانية، وكان السلطان مراد الثاني ( )  
يوزع سنويا ويبيده شخصيا ألف فلوري ذهبي على كل من يمت نسبه  
بصلة واضحة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>٢</sup>. كذلك أرسل  
السلطان محمد الفاتح رسالة الفتح إلى أمير مكة المكرمة " السيد  
الأحسنى العجلانى الحسنى يزف إليه بشرى فتح القسطنطينية "  
ويصفه بأنه " مُعلى قواعد الموسم والحرمين، حامى مشاهد البقاع  
الشريفة، أمير المسلمين، وولى المؤمنين سلطان بيت الله " وهى صفات  
تنبئ عن نظرة تقدير واحترام العثمانيين لأمراء الحرمين واعتبارهم "

١ انظر، zlüğü Mehmet Zeki Pakalin, Osmanlı Tarih Terimleri ve Deyimleri S, Istanbul 1971.c.3,s.28

وسيتم توثيقه فيما بعد، محمد زكريا كآلین، معجم مصطلح التاريخ العثماني، وانظر أيضا أيوب  
صبرى، ج٢، ص٥٧٨.

٢ محمد حرب، المرجع السابق، ص ١٤٩.

أمراء المسلمين وسلاطين بيت الله"، وأرشفق السلطان محمد الفاتح بالرسالة هدية إلى أمير مكة وإلى أهالي الحرمين الشريفين عبارة عن "ألفى فلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من غنائم فتح القسطنطينية، وسبعة آلاف فلورى آخر للفقراء، منها ألفان للسادات والنقباء والألف للخدام المخصوصة بالحرمين، والباقي للمتمكنين المحتاجين في مكة المعظمة والمدينة المكرمة"<sup>١</sup>.

وحرص العثمانيون على مخاطبة أمراء مكة بالألقاب اللائقة بهم وإظهار مظاهر الاحترام والتقدير لهم بوصفهم "قلدة أكباد الرسول، زبدة أحفاد البتول، أمير المسلمين، وولي المؤمنين، خلاصة أولاد شفيح المذنبين"<sup>٢</sup>

وكان ضم العثمانيين للشام ومصر عام ٩٢٢-٩٢٣هـ / ١٥١٦م بداية انتقال خدمة ورعاية الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية<sup>٣</sup>، وعلى رأس هذه الخدمات؛ خدمة لحرمين الشريفين وتعميرهما وتوسيعتهما، وإرسال الصرة والكسوة الشريفة في كل

---

١ أنظر، أحمد فريدون بك، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، استانبول، ١٢٦٤هـ، ص ٢٣٢-٢٣٣ "شريف مكة مكرمة به إرسال بيوريلان قسطنطينية فتحنامة همايونتك صورتيدر".

٢ فريدون بك، المرجع السابق، ص ٢٣٢.

٣ أرسل شريف مكة الشريف أبو ندى ولده الشريف محمد إلى السلطان سليم الأول أثناء مقامه في القاهرة، ليعلن مبايعته للسلطان العثماني، ويسلمه مفتاح الكعبة المشرفة، رمزا لانتقال رعاية منطقة الحجاز الحرمين الشريفين إلى الدولة العثمانية. وصار السلطان سليم الأول العثماني يدعى بلقب "خادم الحرمين الشريفين" وقد حافظ السلاطين العثمانيون من بعده على استخدام هذا اللقب الذي يبين نظرة التقدير والاحترام الذي كان سلاطين العثمانيون يشعرون به تجاه هذه الأراضي المقدسة.

عام لأهالي الحرمين الشريفين والمجاورين<sup>١</sup>.

وقد أنشأ العثمانيون في سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٧م وزارة خاصة بالحرمين الشريفين عرفت باسم "نظارة الحرمين" ومهمتها إدارة الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين، ويقوم عليها أغا دار السعادة<sup>٢</sup>، وكانت مهمة هذه النظارة إدارة الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين وفق شروطها. وقد ازدادت أهمية هذه النظارة بعدما تزايدت أوقاف السلاطين العثمانيين وزوجاتهم وكذلك ما أوقفه أغوات دار السعادة والشخصيات المهمة في الدولة. فأنشئت أربع إدارات تابعة لهذه النظارة وهي:

تفتيش أوقاف الحرمين، ومحاسبة أوقاف الحرمين، ومقاطعة أوقاف الحرمين، كتبة دار السعادة. وكانت دفاتر هذه الإدارات

١ تتضمن السجلات التي وصلتنا منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر فقرات عن كمية الحبوب التي كانت ترسل باسم الجراية لإطعام سكان الحرمين الشريفين، ومعلومات أخرى عن تأمين طرق الحج من مصر ودمشق إلى الحجاز، وعن أنبيية أقيمت حول الكعبة وعن كسوة الكعبة، انظرنجات جويوش، بعض الوثائق عن الكعبة في القرن السادس عشر، بحث مقدم إلى جامعة الرياض، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٧.

٢ أغا دار السعادة، هو أكبر الأغوات في القصر العثماني، وأكبر أغوات الحریم والعاملين داخل القصر. ودرجته في البروتوكول داخل القصر تأتي بعد الصدر الأعظم وشيخ الإسلام، ويلقب بصاحب الدولة، وصاحب العناية "دولتلو، عنايتلو". ومهمته الأساسية هي الإشراف على قسم الحریم السلطاني الذي يعيش فيه نساء القصر. انظر،

Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati, Ankara 1984, s.172.

كما أنه رئيس كل موظفي الحرمين الشريفين والموظفين المسؤولين عن أوقاف السلاطين والوزراء وأوقاف الحرمين الشريفين، سواء في استانبول أو في سائر الولايات العثمانية، وعليه مراقبة أوجه صرف هذه الأوقاف وفق شروطها، انظر، مصطفى كولر، أوقاف العثمانيين في الحرمين، ص ٢١٨.



الأربع تكتب بخط السياقة<sup>١</sup>، ولهذا فهي من أهم المصادر التاريخية في هذا الصدد<sup>٢</sup>. وفي عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م، تم ضم نظارة أوقاف الحرمين إلى نظارة الأوقاف السلطانية<sup>٣</sup>.

وتحتوى دفاتر أوامر الحرمين من رقم ٩٧٩ إلى ٩٧٧، والتي تختص بالفترة من ١٢٢٧ إلى ١٢٩٩هـ / ١٨١٢ إلى ١٨٨١م، والموجودة في أرشيف الإدارة العامة للأوقاف في تركيا على ما يتعلق بأوقاف الحرمين والأوقاف التابعة لخزنتها<sup>٤</sup>.

وكانت الدولة العثمانية تعتمد إلى حد كبير على الجهود الأهلية والخيرية في إقامة المنشآت الاجتماعية والعلمية مثل المدارس الخانات والأسبلة وقصور القوافل وعيون الماء والمطاعم الخيرية ودور الشفاء فأوقفوا أوقافا كثيرة ومتنوعة على الحرمين الشريفين، فقد أوقف السلاطين سليم الأول، وسليمان القانوني<sup>٥</sup>، ومراد الثالث، والسلطان أحمد الثاني أوقافا كبيرة، لإطعام سكان الحرمين

---

١ خط السياقة، وتكتب بالعثمانية "سياقت" نوع من الخطوط التي استخدمها العثمانيون في كتابة الدفاتر والأرقام، وحروفه غير منقوطة.

٢ Ziya Kazici, *Islami ve Sosyal Acidan Vakiflar* Istanbul 1985. S. 73-74.

وسيتم توثيقه بعد ذلك، ضيا قازيجي، الأوقاف.

٣ ضيا قازيجي، الأوقاف، ص٧٢،

٤ نظيف اوزتورك، المرجع السابق، ص١٢.

٥ تعد أوقاف السلطان سليمان القانوني من أهم الأوقاف التي أوقفها السلاطين العثمانيون على الحرمين الشريفين، فقد أوقف على كسوة الكعبة سبع من قرى مصر كما أوقف على أهالي الحرمين الشريفين عدد آخرى من القرى بالإضافة إلى ما أوردته الوثائق تحت بند ط تصدقات السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان<sup>٦</sup> انظر، محمد علي فهم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان

العصر العثماني، القاهرة ٢٠٠١، ص٧٢-٨٥.

الشريفين، وكانت توزع عليهم بموجب براءة سلطانية تصدر للمستحقين من هذه الأوقاف. وقد سجل الرحالة العثماني أوليا جلبي في رحلته إلى الحجاز سنة ١٠٨١ هـ / ١٦٧١ م أن أهل الحجاز نالوا من رعاية السلاطين العثمانيين رعاية تفوق ما تمتعوا به في زمن الأمويين والعباسيين، والدولة المملوكية، وهي الدول التي تولت رعاية وخدمة الحرمين الشريفين أو كانت في حوزتهم السياسية. وكانت المساعدات العثمانية تتدفق على سكان الحرمين بكميات كافية وذلك من نتاج الأراضي التي أوقفها العثمانيون على الحرمين الشريفين منذ زمن السلطان سليم الأول. وسار على نهج السلاطين سليمان القانوني، وزوجته خرم سلطان، ومراد الثالث، وأحمد الأول.

فضلا عن الأوقاف، اهتم العثمانيون بإنشاء المؤسسات الخيرية والمدارس والمكتبات في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة دعما للحياة العلمية فيهما<sup>١</sup>. كما اهتم رجال الدولة العثمانية بل والنساء أيضا، بإنشاء الأعمال الخيرية في منطقة الحجاز<sup>٢</sup> لخدمة الحرمين الشريفين وخدمة أهله، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة لهذا الغرض،

١ في هذا الموضوع، انظر، أميرة على مداح، النشاط العلمي في مكة المكرمة في العصر العثماني، جامعة أم القرى ٢٠٠١.

٢ مثال ذلك المدارس التي أنشأها كل من الصدر الأعظم صقوللي محمد باشا، وسنان باشا في مكة، والمدرسة السلمية، والمرادية، والمحمودية، وسبيل فيزير أغاسي، أي سبيل آغا دار السعادة، ومن خيرات النساء نجد المدرسة التي أنشأها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني وتعرف بالمدرسة الخاصكية. وكذا وقف السيدة عائشة والدة السلطان مراد الرابع وقد أوقفت أراض وقرى كثيرة من قرى مصر على الحرمين الشريفين. انظر، محمد على فهمي، المرجع السابق، ص ١٧ وما بعدها.

ورعاية أهله وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والمرافق العامة. وقد اعتبر العثمانيون جميع أراضي الدولة العثمانية، أراضي خراجية، باستثناء منطقة الحجاز، فقد اعتبروها أراضي عشورية، وهذه العشور كانت توزع في الحجاز على المستحقين، أي أن الدولة العثمانية لم يكن يصل إلى خزينتها أي أموال من منطقة الحجاز<sup>١</sup>.

وبدءاً من عصر السلطان سليم الأول<sup>٢</sup>، حتى زمن السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م)، أبدى العثمانيون مظاهر اهتمامهم واحترامهم للحرمين الشريفين وأمراءه ورتبوا الهدايا والمرتببات السنوية لهم والاهتمام بالمرافق العامة والحالة الصحية والتعليمية، وترميم وتجديد وتعمير الحرم المكي الشريف، وكانت مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر

---

١ انظر، Hezarfen Huseyin Efendi, Talhisu'l-Beyan Fi Kavanin-I Al-I Osman, Hazirlayan Sevim Ilgur, ankara 1998,s.134

وسوف يتم توثيقه فيما بعد، هزار فن حسين أفندي، تلخيص البيان .

٢ عقب الفتح العثماني لمصر صدر الأمر بتثبيت الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (٩٠٣-٩٣١هـ / ١٤٩٧-١٥٢٤م) وكان أميراً على مكة المكرمة في نفس العام الذي فتح فيه السلطان سليم الأول العثماني مصر ٩٢٣هـ / ١٥١٧م. وعقب الفتح أرسل الشريف بركات ابنه الشريف أبا ندى لمبايعة وتأييد السلطان سليم ويقدم له مفاتيح مكة رمزا للمبايعة وقد ثبته السلطان سليم على إمارة مكة المكرمة. انظر،

Ismail Hakki Uzuncarsili, Mekke-I Mukerreme Emirleri, ankara 1972,s.17

وسيتم توثيقه فيما بعد، اسماعيل حقي اوزون جارشيلي، أمراء مكة المكرمة .

وفي تفصيل خدمات العثمانيين للحرميين الشريفين ومناسك الحج ومخصصات مرآة مكة انظر، محمد الأمين المكي، خلفاء عظام عثمانية حضر تلتريتك حرمين شريفينده كي اثار مبروره ومشكوره همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨هـ، ترجمه إلى العربية ماجدة مخلوف، تحت الطبع، وسيتم توثيقه فيما بعد محمد الأمين المكي، خدمات العثمانيين.

الميلادي تضم ثلاث وخمسين وكالة تجارية متعددة الأدوار، كل واحدة منها تضم مائة أو مائتي دكانا، وعددا كبيرا من التكايا والمدارس<sup>١</sup>.

وقد أسند الخلفاء العثمانيون، الوظائف الجليلة إلى أهالي الحرمين الشريفين، ورتبوا الرواتب الكبيرة للقائمين على أمر الدين ورجالاته من مفتين وعلماء وخطباء وأئمة، وأمنوا سبل معيشتهم، ومثلها للأشراف والسادة والصالحين والأخيار والزهاد. وعمت خيراتهم الجميع؛ العوام منهم والخواص، والذكور والأناث، فانصرف الناس للعبادة والطاعة الريانية، وتحصيل العلوم العالية<sup>٢</sup>.

كما وجهوا اهتمامهم نحو تأمين طرق الحج حرصا علي راحة حجاج بيت الله الحرام، وحماية الدين المبين، وإقامة شعائر الإسلام، وحرصوا على إرسال الأموال المقررة كل سنة من استانبول في حماية العساكر السلطانية، وإرسال الصرة السلطانية من مصر، وصرف الأموال الكثيرة لأشراف الحرمين الشريفين، والسادة والعلماء والأهالي والمجاورين، والقائمين على خدمة الحرم المكي الشريف، وتقديم الرواتب الكبيرة لقبائل البدو القاطنة بين الحرمين الشريفين المحترمين، توفيرا لأسباب راحة الحجاج المسلمين وأمانهم<sup>٣</sup>.

وتتضمن المصادر العثمانية تفصيلات دقيقة واسعة عن جهود

١ انظر، Yilmaz Oztuna, Buyuk Turkiye Tarihi, Istanbul 1983, c.14, s.39.

وستم توثيقه فيما بعد، يلماز أوزطونه، تاريخ تركيا الكبير.

٢ محمد الأمين المكي، المرجع نفسه، ص ٢.

٣ محمد الأمين المكي، المرجع السابق، ص ٣.

العثمانيين فى تعمير وتطوير الحرم المكى منذ عهد السلطان سليم الأول، وتأمين سبل الحج وغيرها من الخدمات المتعلقة بالحرم المكى ومناسك الحج<sup>1</sup>، لذا فسوف نكتفى هنا بالتعريف بالخدمات الخاصة

من هذه الخدمات التى بذلها العثمانيون لتعمير الكعبة المشرفة والحرم المكى، ما يذكر من أن المسجد الحرام يتعرض من حين إلى آخر لبعض التدمير بسبب السيول التى كانت تنزل على مكة قوية ومدمرة فى بعض السنوات. وكان العثمانيون يبذلون جهودهم فى ترميم ما أفسدته هذه السيول وما تأثر بتقادم السنين، وإهداء الهدايا القيمة للحرم المكى تعظيما له. أول من تشرف بخدمة الحرمين الشريفين من العثمانيين، هو السلطان سليم خان الأول، وفى عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م، صدر الأمر إلى الأمير مصلح الدين بك، أحد خواص السلطان بالتوجه من مصر إلى مكة المكرمة لتجديد مقار أئمة المذاهب الأربعة فى الحرم المكى الشريف وترميم مواضع كثيرة من الحرم على الطرز والشكل المعروف آنذاك. كما صدر الأمر بتثبيت الشريف بركات أميرا على مكة المكرمة، وتخصيص راتب شهري له مقداره خمسمائة ذهب، وتعيينات شهرية اشتملت على ثمانين أردبا من القمح، وثلاثين أردبا من الشعير وأرز وعلف وقهوة وفول، وبعبارة أخرى كل المستلزمات الضرورية. كما أمر بمنحة توزع على الأهالى والخدم والأشراف والسادة والعلماء، مقدارها مائتى ألف ذهب خالص العيار كما أصدر مرسوما بأن ترسل إلى أمير مكة نفود و خلعة فاخرة مرصعة ومطرزة باللؤلؤ، بها ياقة ذات أزرار مصنوعة من الماس الفاخر، و خلعة أخرى خفيفة ذات ياقة موشاة، وأنواع من الملابس على اختلافها، وتسلم إليه فى كل عام مع الصرة السلطانية. ويقوم أغوات المحمل الشريف وأغوات القفطان بتوصيل هذه المخصصات وتسليمها إلى أمير مكة فى كل عام. ثم رتبوا الصرة السنوية والمرتببات الشهرية فبلغت عشر أضعاف ما كانت عليه. واستمرت مخصصات ومرتببات السادة أمراء مكة إلى أن أصدر السلطان الغازى عبد الحميد الثانى أمره فى سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨ م، بزيادة مرتببات أمير مكة ومخصصاته. ولكى يضمن العثمانيون موردا دائما للإنفاق على الحرم المكى رتبوا له التوقيفات الكبيرة، فقد اشترى السلطان سليم الأول وابنه السلطان سليمان القانونى، سبع من قرى مصر، وأمرا بوقفها على كسوة الكعبة العظيمة والأعمال المتعلقة بها وقد بلغت إيرادات هذه القرى فى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م، ما قيمته ٣٥٧,١٥٧ درهما شرعيا. كذلك الصرة والمرتببات السنوية والشهرية التى خصصها الخلفاء العثمانيون من خزينة الأوقاف السلطانية ومرتببات بدل كسوة ومرتببات سنوية للأشراف والسادة والعلماء والمدرسين المدنيين والعسكريين المتقاعدين والمحتاجين والتلاميذ ولتأمين طريق الحج كانت تحافظ على امتلاء آبار المياه والخزانات على طريق الحج وصيانتها، وكانت تأخذ

بتوفير المياه والرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية والمرافق العامة في مكة في العهد العثماني.



في موسم الحج من كل عام عشرة أشخاص كرهائن من قبيلة حرب التي تبسط سلطانها على الطريق بين مكة والمدينة لكي تضمن عودة الحجاج سالمين كما اهتم العثمانيون بعمارة الحرمين الشريفين ، وعمل الترميمات والتوسعات اللازمة ومن أهم هذه التوسعات والتعميرات ما قام به السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٦٤م بعد حادث السيل الذي أثر على بناء الكعبة المعظمة ، فتم إعادة بناء الكعبة وهي البناء الحادي عشر للكعبة المعظمة ، ووضع الرخام على سطح وجدار الكعبة ورخام المطاف ، كما تم تجديد باب الكعبة في عام ١٠٤٥ هـ / ١٦٦٥م ، وعمل الصاغة الفضة للباب ووزن ذلك مائة وستة وستون رطلا ، وطلّى بالذهب البندقى مما قدره ألف دينار كذلك التعمير الذي تم في زمن السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦م ، والذي أمر بإرسال عدد من المقصورات المخصصة للنساء في الحرم المكي الشريف وأعقبه السلطان محمد رشاد في عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م ، حتى بلغ ما أنفقه العثمانيون على العمائر في المسجد الحرام ما يقارب المائة ألف جنيه عثمانى ، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الوقت. وكانت الدولة العثمانية تعنى بإرسال كل ما يلزم الحرم المكي الشريف من زيت وشمع ويخور ، وقناديل لإضاءة وتعطير المسجد الحرام ، في خدمات العثمانيين للحرم المكي انظر ، محمد الأمين المكي المرجع السابق ، ص ٦١٣ وما بعدها ، حول جارشيلي ، أمراء مكة المكرمة ، ص ١٧. أيوب صبرى ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦١٣ وما بعدها ، حول نص وقفية السلطان سليمان القانونى هلى كسوة الكعبة المعظمة سنة ٩٤٧ هـ ، انظر أيوب صبرى ، مرآة مكة ، ج ٢ ، ص ٧١٤-٧١٩ ، وأيضا السيد محمد الدقن ، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، ط ١ القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ ، الملاحق ، ص ٢٦٥-٢٧١. جولدن صارى بلدى ، الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥-١٩١٤ ، ترجمه عن التركية وقدم له عبد الرازق بركات ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١) ، ط ١ ، ص ٢٠١. ٩٣. أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، صححها وعلق حواشياً رشدى الصالح ملجس ، المطبعة الماحدية ، مكة المكرمة سنة ١٣٥٢ ، ج ١ ، ص ٢٤١-٢٥٥. أحمد السباعى ، تاريخ مكة ج ٢ ، مكة المكرمة ، نادي مكة الثقافي ، ط ٦ ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٧٧.

نظرا للطبيعة الصخرية لمكة المكرمة فقد ندر ماؤها واعتمدت فى تلبية احتياجاتها من المياه على الأمطار والآبار. وكانت مسألة المياه على طرق الحج موضع اهتمام المسلمين، حتى أجرت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد الماء من مسيرة ثلاثة أيام حتى جبل عرفات وهى ما عرف باسم عين زبيدة التى وصفت بأنها مادة الحياة فى مكة المكرمة.

وقد اراد السلطان العثمانى محمد الفاتح أن يعمر مصادر الماء التى فى طريق مكة المكرمة سنة ٨٨٤هـ، وقت أن كانت الدولة المملوكية مسئولة عن خدمة لحرمين الشريفين، فرفض السلطان المملوكى، فظهرت الوحشة بينه وبين صاحب مصر لهذا السبب<sup>١</sup>.

فلما صارت خدمة الحرمين فى عهدة العثمانيين أعطوا مسألة توفير مياه الشرب لأهالى مكة المكرمة ومناسك الحج أهمية كبرى، لعلاقة ذلك براحة أهل مكة والحجيج وصحتهم، وتعبيرا عن رعايتهم لهذه المناطق المقدسة. فأقاموا المنشآت وخزانات المياه والصنابير فى مكة وماحولها ومناسك الحج.

فقد قام السلطان سليمان القانونى فى عام ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م، بتوصيل ماء عين زبيدة من عرفات إلى مكة المكرمة، على نفقته الخاصة لتوفير هذا الماء لأهالى مكة المكرمة، واستغرق هذا العمل سبعة عشر عاما وأنفق فى تنفيذه مائة ألف ذهب. وجعله باسم ابنته

١ منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع مكتبة السلليمانية استانبول، أسعد افندى برفقم ٢١٠٢،

السيدة مهرماه<sup>١</sup>. وأنشأ داخل مكة أحواضا كبيرة وصهاريج واحتفل أهل مكة احتفالا كبيرا بوصول ماء عين زبيدة إلى مكة المكرمة<sup>٢</sup>.

وعندما تخربت عين زبيدة فى حادث السيل الكبير عام ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م صدر الأمر بعمل الإصلاحات اللازمة، وقد أنفق على هذا الغرض خمسون ألف ذهب .

وفى سنة ١٠٩٢ هـ / ١٦٨٢ م أمر السلطان محمد الرابع (١٠٥٨ هـ: ١٠٩٩ هـ / ١٦٤٨ م: ١٦٨٧ م) بإرسال سليمان أغا لإصلاح مجرى عرفات وتجديد أحواض الماء الضخمة الموجودة هناك، وذلك حفاظاً على حياة الحجاج المسلمين.

وفى عام ١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م، تم تعمير عين عرفات وسائر العيون فى مكة المكرمة، وعين حنين الواقعة على مسافة ثمان ساعات من مكة المكرمة، واستغرق هذا الأمر ثلاث سنوات وأنفق فى هذا الأمر مائة وست وثلاثين كيسة أوجه<sup>٣</sup>، وأمر بتطوير عين عرفات ليزيد ماؤها، كما تم تعمير بشر زمزم وبمناسبة الانتهاء من

١ مهرماه سلطان، بنت السلطان سليمان القانونى من زوجته خرم سلطان، كان ذات خيرات ولها أكثر من جامع ومدرسة وحمام فىضواحي استانبول، انظر،

agatay Uluçay, Padisahların Kadınları ve Kızları, Ankara 1980. s.38. f-M.

وسيتم توثيقه فيما بعد، جفتاى أولوجاى، زوجات وبنات السلاطين.

٢ يذكر صاحب مرآة الحرمين أنه تم إنشاء تسعة صهاريج وعدد من خزانات الماء ذات صنابير، منها صهريج بسعة مائة وخمسون مترا مربعا، وصهريج فى حارة الباب بسعة أربعة وستون مترا، وصهريج فى حى جباد بسعة مائتى وعشرين مترا، فى تفاصيل هذا انظر، انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٢-٦٢٣، ص ٦٤٢-٦٤٣.

٣ الأوجه عملة صغيرة من الفضة وكيسة الأوجه تساوى خمسمائة قرش.



تعمير بئر زمزم نظم الشيخ طاهر سنبل أحد علماء مكة المشهورين  
ثلاثة أبيات من الشعر، والأبيات مكتوبة على باب بئر زمزم،  
ونصها:

سرور لسلطان البرية والورى ... لعبد الحميد البربحر المكارم  
ونصر له أيضاً وفتح ورفعة ... بتجديد هذا الخير بعد التقادم  
حفيرة إسماعيل أعني ابن هاجر ... وركضة جبريل على سر آدم .

وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى تم تعمير عين زبيدة  
تعميراً كبيراً ، جمعت له التبرعات من مختلف أنحاء العالم  
الإسلامى<sup>١</sup> ، وكان هذا بمثابة تأكيد للجامعة الإسلامية ، وتكونت  
لجنة هندسية للإشراف على عملية الترميم وإنشاء قنوات مياه عين  
زبيدة في مكة المكرمة ، وقد عملت اللجنة لمدة أربع سنوات  
واشتغل فى تنفيذها ما يزيد على ثلاثة آلاف عامل ، وبدأ العمل من  
"وادي النعمان" حيث مجري ماء عين زبيدة ، على مسافة ثمان ساعات  
من مكة المكرمة. كما قامت اللجنة بإنشاء ثمانية عشر خزاناً  
ضخماً للمياه ، وعين ماء لسد احتياجات أحياء مكة المكرمة وأهلها.  
وكذلك إنشاء عيون ماء في المنطقة المحيطة بالحرم الشريف وتزويدها  
بصنابير متعددة ، ليتوضأ حجاج المسلمين منها . كذلك توصيل  
مواسير المياه إلى مستشفى الفقراء والمؤسسات الخيرية السلطانية ،

١ تبرع أثرياء مكة المكرمة وجدة لترميم عين زبيدة ، وتبرع أثرياء الهند بمليون وستمائة وخمسة  
وعشرين ألف قرش ، وجمع من مصر خمسة عشر ألفاً وسبع وستين قطعة ذهب مصرية ، كما بلغت  
جملة التبرعات المرسله من صندوق بومباي ما يعادل اثنين وثمانين ألفاً ومائة وثمان وستين قطعة ذهبية ،  
انظر، جولدن صاري، المرجع السابق، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، وأيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٦٣٨-٦٣٩ .

ومقر الحكومة السنوية، ومعسكر المدفعية السلطاني، والمطبعة، ومكتب البرق، والمخبز العسكري، وأقسام الشرطة النظامية، والحمامات. مما ساعد على تخفيض ثمن المياه خاصة في موسم الحج<sup>١</sup>.

كذلك اهتمت الإدارة العثمانية في زمن السلطان عبد الحميد الثاني بنظافة الأحواض التي يستخدمها الحجاج في عرفات، وخصصت نصف أحواض الماء الموجودة وعددها خمسة عشر حوضاً لشرب الحجاج، ونصفها الآخر لغسيل ملابسهم<sup>٢</sup>. كما تم توصيل ماء عين زبيدة من وادي المفجر إلى مني الواقعة فوق الجبل علي ارتفاع ٣٠٠ متر، ورفع الماء إليها بواسطة ماكينتين بخاريتين، تم صنعهما في الترسانة العامرة لهذا الغرض. وكان الحجاج يقضون في مني ثلاثة أيام، يعانون خلالها من مشكلة ندرة الماء. ويتوصيل ماء عين زبيدة إلى وادي المفجر، أمكن إنقاذ حياة آلاف الحجاج في مني. كما تم إنشاء خزانين كبيرين للماء ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م<sup>٣</sup>.

وعقب الانتهاء من الأعمال الإنشائية لعين زبيدة، صدر الأمر في عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م بتوصيل ماء "عين وزيرية"، إلى مدينة جدة التي كان يقطنها آنذاك ثلاثين ألف نسمة واستغرق هذا الأمر ثلاثة أعوام ونصف العام بمعاونة ثلاثة آلاف وخمسمائة عامل، وأمكن توصيل ماء "عين وزيرية" من يمين "رغامة" الواقعة علي مسافة

١ محمد الأمين المكي، ص ١١.

٢ جولدن صاري بلنر، المرجع السابق، ص ٥١.

٣ محمد الأمين المكي، ص ١٢.

ساعتين من "جدة"، إلى نفس مدينة "جدة". وبذلك أنقذ أهالي "جدة" والحجيج، من مضار شرب الماء الآسن، كما أنشأت خزانات متصلة بعيون الماء لخدمة أحياء "جدة". ومدت أنابيب الماء إلى المعسكر السلطاني، ومقر الحكومة والمستشفى العسكري. كما تم تطهير وتعمير كل أحواض الماء في عرفات للمحافظة على صحة الحجيج وذلك في عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م<sup>١</sup>.



كما أولى العثمانيون الحياة الثقافية والعلمية أهمية كبيرة، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، سيرا على منهج خلفاء المسلمين وحكامهم في رعاية العلم والعلماء خاصة في الحرمين الشريفين، وكانت منطقة الحجاز في العهد العثماني عامرة بحركة علمية ومناقشات فقهية في حلقات العلم والمساجد<sup>٢</sup> حول الحرم المكي

---

١ محمد الأمين المكي، ص ١٤، وجدير بالذكر أن اهتمام السلطان عبد الحميد بمسألة توفير مياه الشرب، لم تقتصر على مكة وحدها، بل امتدت إلى جدة أيضا باعتبارها الميناء الذي يستقبل الآلاف من الحجاج كل عام فأنشأ بحى العيدروس مخزنا للمياه ينتهي بعدة أسبلة لخدمة الأهالي، وكذا صنابير للمياه بالقرب من المستشفى العسكري بجدة، وأخرى في ميدان بئر يعقوب آغا في حى باب اليمن وباب جاوه، وفي ميدان الميناء وجدت أسبلة وناظورة للمياه محاطة أطرافها بصنابير المياه، انظر، صابرة مؤمن، نفس المرجع، ص ١٥٩.

٢ تبين رحلات من زاروا الحجاز حجم المناقشات العلمية والفقهية والأدبية التي كانت تدور بين العلماء في المساجد وحلقات العلم، مثال ذلك ما دونه التابلسي في مواضع لا تحصى من رحلاته إلى الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري عن المناقشات العلمية التي شارك فيها، انظر، عبد الغنى بن اسماعيل التابلسي، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.

الشريف، وقد أحصى أوليا جليى المدارس فى مكة المكرمة فى القرن الحادى عشر الهجرى، السابع عشر الميلادى وعددها مائة وست وسبعين مدرسة . منها أربعون مدرسة وصفها بأنها عظيمة تقع حول الحرم وحده. ومائة وخمسين مدرسة للصبيان يدرسون فيها مبادئ القراءة والكتابة، كما وجدت بها دور قراءة القرآن الكريم فى أربعين مكانا، وكلها تقوم بتحفيظ القرآن وتلاوته وتجويده بمختلف القراءات، كما احتوت أيضا على أربعين دارا للحديث<sup>١</sup>.

وأثناء بناء الحرم المكى الشريف فى عهد السلطان سليمان القانونى، اشترى السلطان سليمان القانونى الساحة الناتجة عن انهدام المستشفى المنصورى الكائنة فى جهة الشمال من جدار المسجد الحرام، وكذا شراء خرائب تكايا السلطان أحمد شاه سلطان كجرات والشيخ طاهر، وكذلك المنازل المتصلة بها، وأمر ببناء أربع قاعات واسعة للدرس فى الحرم المكى<sup>٢</sup>، فى كل قاعة منها مدرسة لواحد من مفتى المذاهب الأربعة إلا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه لعدم توفر من هو فائق فى هذا المذهب، وتحولت المدرسة الرابعة إلى دار للحديث<sup>٣</sup>، وفى تلك المدارس خصص لكل خمسة عشر طالبا، معيد ومدرس<sup>٤</sup>. وللمدرسة السلیمانية ست وأربعين حجرة ولكل حجرة جرایة قدرها ثلاثة أرادب حنطة<sup>٥</sup>، وقد أوقف

١ فى أسماء هذه المدارس انظر، يلماز اوزطونه، المرجع السابق ص٣٩.

٢ انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٥٦٨.

٣ النابلسى، الحقيقة والمجاز، ص٤٥٣.

٤ محمد الأمين المكي، ص ٢٧.

٥ أيوب صبرى، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٤٥.

على هذه المدارس أوقافا كثيرة فى بلاد الشام فكانت تأتى إليها الأموال فى كل عام مع الركب الشامى لدفع رواتب المدرسين وطلاب العلم<sup>١</sup>. كما بنيت مدرستان نموذجيتان، واحدة منهما ابتناها الصدر الأسبق صقولى محمد باشا<sup>٢</sup> عليه رحمة الله، وابتنى الأخرى داود باشا، وهما من الآثار المعمارية الرائعة للمعماري العثماني سنان باشا<sup>٣</sup>. كذلك المدرسة والرباط اللذين أنشأتهما "خاصكى خرم سلطان" زوجة السلطان سليمان القانونى<sup>٤</sup>. وهى مدارس اهتمت بحماية المذهب

١ النابلسى، المرجع السابق، ص ٤٥٣.

٢ الصدر الأعظم فى زمن السلاطين سليمان القانونى وسليم الثانى ومراد الثالث، توفى عام ٩٨٧هـ.

٣ انظر، محمد حرب جهود المعمار سنان فى مكة والمدينة، مجلة الدارة، ربيع الأول ١٤١٣، ص ١١٥-١٢٩.

٤ أسماها الأصلى روكسلانه ويعرفها العثمانيون باسم خاصكى خرم سلطان. انضمت إلى الحريم كجارية وكان عمرها آنذاك يتراوح بين الرابعة عشر والسابعة عشر، ثم أصبحت زوجة للسلطان سليمان القانونى. وتوفيت عام ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨م، ودفنت فى قناء جامع السلیمانية فى مقبرة تحمل اسمها. أنفقت خرم سلطان أموالا كثيرة فى أعمال الخيراً كما أنشأت أوقافا كثيرة فى مناطق متعددة من الدولة العثمانية فى أدرنة وإستانبول والقدس ومصر وغيرها. كما أبتت خرم سلطان مؤسستين خيريتين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة فقراء المسلمين وطلاب العلم فى الحرمين الشريفين تتكون كل مؤسسة منهما من مطعم خيرى لتقديم الطعام لفقراء المسلمين وطلاب العلم، ورباط لسكنى طلبة العلم، فضلا عن مسجد ومدرسة. وأوقفت على هاتين المؤسستين أوقافا كثيرة للإتفاق عليهما ورتبت لهذا الأمر وقفية مدونة باللغة العربية وضحت فيها تفصيلا حجم هذه الأوقاف ومكانها والعاملين على إدارتها ومهامهم ورواتبهم، والصفات الواجب عليهم التحلى بها والتي تتناسب مع طبيعة مهام كل واحد منهم، وأوجه الإنفاق من هذه الأوقاف بشكل تفصلى دقيق يمكن من خلاله فهم ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية لحريم القصر العثماني ومدى إسهامهم فى الأوقاف العثمانية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة. انظر، نص وقفية والدة السلاطين (خرم سلطان) مخطوط مودع دار الكتب المصرية برقم ١٣٨٦٤ح، ميكروفيلم ٤٠٤١٢، الورقة أ.و. وقد قمنا بتحقيقها وجارى نشرها.

السنى ووضعت الضوابط اللازمة لمنع التحاق غير أهل السنة بها فاشتترطت خاصكى سلطان ( أن يكون سَكَنَة رباطها بعدد حجراته ثمانية وأربعين من الصلحاء المتورعين والفقراء المتشريعين متمذهبين بمذهب أهل السنة والجماعة مجتنبين عن الأهواء والأسوء والشناعة" كما حذرت من أن يسكن فى هذا الرباط من يكون على غير مذهب أهل السنة والجماعة " أو أن يكون من سائر المبتدعة ❖ أو يكون على مسكن آخر قادرا ❖ أو يكون فى صورة الصلاح غادرا ❖ فإن كان طالب الحجره من ديار العجم أو غيرها من سائر الأمم من كان مجهول الحال ومستور الفعال ❖ يفتش عن أحواله ويتفحص عن أفعاله ❖ فإن ظهر كونه ممن يحب الصحابة العظام ويعظمهم رضى الله عنهم أجمعين وييجل ائمة الفخام رحمة الله عليهم إلى يوم الدين )<sup>١</sup>، كما اشتترطت أن يكون ( معلم مكتبها الشريف رجلا دينا من أهل العلم والصلاح تقيا نقى المذهب "وفى صدد الاهتمام باللغة العربية التى كانت لغة العلماء والعلم فى المدرسة العثمانية، اشتترطت خُرْم سلطان، أن يكون المعلم (عالما بفنون القراءة والفقه واللغة العربية يعلم القرآن ومقدمة الصلوة والمقدمات الأدبية، ويواظب على ما فى عهده دائما ولا يترك إلا لعذر شرعى) أما المستفيدين من هذه المدرسة فهم (أربعين نضرا من صبيان الفقراء وفقراء الصبيان) وكانت تقدم الطعام يوميا لطلبة هذه المدرسة ومعلمها<sup>٢</sup>.

والجدير بالملاحظة أن هؤلاء المعلمين كانوا يخضعون لنوع من

١ أنظر نفس المرجع السابق.

٢ أنظر، وقفية خرم سلطان ورقة ١٢ب-١١٣.

المتابعة والمراقبة، فكان "عدم قدرة المدرس على ضبط أمور المدرسة أو القيام بأعباء العمل، وعدم الاجتهاد فيه أو تذبذبه" يعتبر سبباً كافياً لتزليل درجته في وظيفة التدريس<sup>١</sup>.

وفي عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٥ م صدر أمر السلطان عبد المجيد الأول إلى عثمان باشا الفناري والي الحجاز وشيخ الحرم بتعمير المخزينين الكائنين في ساحة المسجد الحرام ليصبح أحدهما دار توقيت، والآخر مكتبة عامة متكاملة جرى تزويدها بكتب قيمة أرسلت من استانبول خصيصاً، وأطلق عليها اسم "المكتبة المجيدية" نسبة إلى السلطان عبد المجيد<sup>٢</sup>. وفي عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م، تم إنشاء مدرسة تضم حوالي عشرين حجرة، وقاعات للدرس ومكتبة وشادروان<sup>٣</sup>. وأرسلت الكتب للمدرسة المجيدية من الخزانة السلطانية الخاصة ومجموعها ٢١٣ مجلد عبارة عن ٢٣ مجلداً في التفسير، ٢٨ مجلداً في الحديث، ٣٠ مجلداً في الفقه، ٢٥ مجلداً في التصوف، ٢٩ مجلداً في الصرف والنحو، ١٢ مجلداً في معاني البيان، ٤ مجلدات في المنطق، ٣ مجلدات في الأدب، ٣ مجلدات في الحكمة والحساب، ١٣ مجلداً في اللغات، ١٣ مجلداً في التاريخ، كما خصص من أوقافه الخاصة بالحرمين مبلغاً للمرتبات السنوية لأمناء مكتبة المدرسة، وكذا القائمين على الخدمة في المدارس المستحدثة،

١ انظر، سهيل صابان، نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٨٥. نقلاً عن، الأرشيف العثماني، تصنيف Dah.Mui.11-1/60.

٢ محمد الأمين المكي، ص ٦٨.

٣ نظيف أوزتورك ص ١٣/٢٩.

٤ نظيف أوزتورك ص ١٢/٢٩. ولمعرفة بيان أسماء هذه الكتب انظر الملحق رقم ٢.

وسقائى الصنايبر ونظار المدارس<sup>١</sup>. وقد دلت النشرة السنوية التى تصدرها الدولة العثمانية باسم السالنامة أن سلاطين القرون الأخيرة من عمر الدولة العثمانية ورجال الدولة فى استانبول أهدوا المثات من الكتب باللغتين العربية والفارسية ومخطوطات باللغة التركية إلى مكاتب مكة المكرمة والمدينة المنورة<sup>٢</sup>.

كما أمر السلطان عبد الحميد فى عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م، بإنشاء مطبعة فى مبنى من الحجر على طابقين، بطرز جديد وجميل. وموقعها فى الساحة الأميرية أمام مقر الحكومة فى مكة المكرمة. وتضم هذه المطبعة ثلاث ماكينات طباعة بالحروف العربية والتركية والفارسية والهندية، ولغة أهل جاوه، وذلك لطبع كل أنواع الكتب الدينية وغير الدينية، وإرسالها إلى كل البلاد الإسلامية، وقد طبعت هذه المطبعة فى ثلاث سنوات خمس وأربعين كتابا. كما أنشئت فى مكة المكرمة المطبعة الماجدية ومطبعة شمس الحقيقة سنة ١٢٢٧هـ - ١٩٠٩م، وقد أسهمت هذه المطابع فى إنعاش الحركة الفكرية، وفى طبع المزيد من المؤلفات المتنوعة ونشر الكتب التى قام علماء مكة المكرمة وكذا المدينة المنورة وجدة بتأليفها<sup>٣</sup>، كما تم تأسيس وافتتاح مدرسة إعدادية فى كل من مكة المكرمة وجده والطائف وينبع<sup>٤</sup>.

١ أيوب صبرى، المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٩٢.

٢ أوزطونه، المرجع السابق، ص ٤٦.

٣ صابرة مؤمن اسماعيل، جده خلال الفترة من ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩-١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية

فى المصادر المعاصرة، إصدارات دائرة الملك عبد العزيز ١٤١٨هـ، ص ١٧٥.

٤ محمد الأمين المكي، ص ١٥.



وبعد إخضاع التعليم لإشراف الدولة بعد التنظيمات ( ١٨٣٩-  
١٨٥٦م) كانت الدولة العثمانية تسمح للأهالي بإنشاء المدارس الأهلية  
بعد الحصول على إذن خاص، وقد قامت هذه المدارس الأهلية بدور  
كبير في تدعيم الحياة العلمية في مكة<sup>١</sup>.



كذلك حظى أهالي مكة المكرمة بالرعاية  
المادية والاجتماعية في العهد العثماني، فعقب فتح  
مصر ( ٩٢٣هـ / ١٥١٧م )، رتب السلطان سليم خان الأول جارية<sup>٢</sup> من  
القمح، هدية إلى أشرف الحرمين الشريفين، وعلمائها، والمدرسين،  
والسادة والأهالي والمجاورين، وخدم الحرمين الشريفين. وكانت هذه  
الجارية في البداية عبارة عن خمسة آلاف أردب قمحا لمكة  
المكرمة، وألقى أردب للمدينة المنورة. ولما زاد عدد سكان البلدتان  
المباركتان، مكة المكرمة والمدينة المنورة، صدر الأمر بزيادة هذه  
الجارية، فأصبح راتب مكة المكرمة من القمح، اثني عشر ألف  
أردب، وراتب المدينة المنورة، ثمانية آلاف أردب من القمح، وكان  
الأردب القديم يعادل مائة وثمانية أقة عثمانية، وفضلا عن ليرة  
عثمانية عن كل أردب. وسميت رواتب الحنطة هذه بدل دعاء.  
وكانت ترسل في كل عام من حاصلات تلك المزارع ( الموقوفة ) .

<sup>١</sup> مثال ذلك مدرسة الفلاح التي أنشأها محمد علي زينل في مكة المكرمة في مطلع القرن العشرين،  
بههدف رفع مستوى طلاب العلوم الدينية وتخرج أساتذة متمكنين في هذه العلوم الدينية واللغوية  
وكانت تتكون من ثلاثة مراحل، في تفصيل هذا انظر، صابرة مؤمن، نفس المرجع، ص ١٦٩-١٧٢.  
<sup>٢</sup> الجارية تعنى المقدار أو الجارى من الرواتب. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط ١٩٩٢، ص ١/١٠٣.

وكان مجمل ثمن هذه الحنطة ١,٢٠٢,٥٠٠٠ قرشا ( مليون ومائتى وأثنى ألف وخمسمائة قرش ) منحة مقدمة من خزينة السلطان بأمر منه، ترسل فى كل عام مع الصرة السلطانية إلى إدارة خزينة مكة المكرمة<sup>١</sup>.

وكان لنساء العثمانيين إسهاماتهن فى الخدمات الاجتماعية فى مكة المكرمة، فقد أنشأت السيدة السلطانة خاصكى خرم سلطان زوجة السلطان سليمان القانونى مطعمين خيريين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، تقدم الطعام يوميا لفقراء المسلمين وقد أوقفت حُرْم سلطان على هاتين المؤسستين الخيريتين، أوقافا كثيرة بعضها مما أهداه إليها السلطان سليمان القانونى من الأراضى والقرى المصرية، والبعض الآخر عبارة عن عقارات تم شراؤها من أصحابها فى مكة المكرمة والمدينة المنورة بالشراء الشرعى ثم أوقفته لذات الغرض. ونوع ثالث عبارة عن أدوات وآلات لازمة للوقف وتساعد على تحقيق الغرض المنوط به عبارة عن سفن و أدوات طهو وطحن وغيرها. ويقع هذا المطعم الخيرى ( فى جوار مسجد الراى بقرب موضع يقال له مدعى\* حاوية على مطبخ ومخبز وبيت الرحى\* وبئر ماء وثلاثة مخازن اثنان منها كبيران متخذان للغلال ويقال لهما الانبار\* وواحد منها صغير متخذ لسائر الحوائج ويقال له كيلار\* حدودها شرقا وشمالا ينتهى إلى موضع مشهور بسوق الليل\* وغربا إلى الطريق العام\* وجنوبا إلى مسجد الراى.) كما أنشأت أيضا ( رباط معمور معروف يشتمل على ثمانية وأربعين حجرة وعلى سبيل ماء فوقه مكتب

١ محمد الأمين المكي، ص ٢٣، حول الصرة الخاصة بأهل مكة فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى،

وحدوده جنوبا ينتهى إلى دار أوقفته أو شرطت كونها مسكنا لكل من يكون من العلماء العابدين\* والصلحاء الزاهدين\* وشمالا إلى الطريق المعروفة بسوق القشاش وشرقا إلى حجرات المولى محيي الدين الخطيب\* وغربا إلى المسعى الشريف زاده الله شرفا) وكذلك (سبيل منفرد البناء\* ومرتفع الإنشاء واقع فى داخل الحرم الشريف حذاء باب الكعبة الشريفة وتجاه الحجر الأسود) ورتبت له وقفية حددت فيها مواصفات العاملين والقائمين على هذا المطعم الخيرى ، أهمها أن يكون (رجلا صالحا دينيا\* وبالصلاح والصيانة والأمانة والديانة متعينا وبمنصب التولية حريا وبحلية الأهلية متحليا\* وفى الاعتقادات سنيا\* وفى الاجتهاديات حنفيا\* مواظبا على مراسم التولية بالاستقامة\* مجانيا عن مخايل الخيانة والسقامة ويكون وظيفته اليومية ستة قطع من القطع المصرية وجرايته السنوية عشرة أرباب من الحنطة النقية\* وأن يكون شيخا رجلا طلق الوجه عذب اللسان ورقيق القلب شفيق الجنان صالحا دينيا مستقيما وفى خدمة الشيخية قائما ومقيما يحضر فى المطبخ كل يوم صبيحة النهار ويعطى كل ذى حق حقه بلا تبذير وإقتار\* يحضر بنفسه لعذر شرعى يمنع حضوره\* ولا يستيب إلا مانع قوى يستلزم الاستتابة بالضرورة يذوق فى كل يوم من الخبز والطعام\* ويهتم فى تحسين طعمها اية الاهتمام\* ويبالغ ألا يكون منهما نيا أو محترقا ويهتم أن يكون أمر العمارة متسقا\* ويتعرف أحوال المخازن فيعرف الداخل والخارج ويضبط كمية ما يدخل وما يخرج من الغلال وسائر الحوائج فيكون وظيفته اليومية أربع قطع وعشرين رغيفا. ومنها أن يكون لها كاتبان قادران على

الحساب والكتاب يكتبان الموارد والمصارف على منهج الصواب ويروحان بالمناوبة إلى جدة المحروسة عند مجيء الغلال فيضبطانها في المخزن المعد لها بلا إهمال ولا إهمال\* ويبرزان الدفتر الصحيح في رأس كل سنة عند المحاسبة\* ولا يقصران بلا عذر شرعى في مواظبة تلك المناوبة\* ويكون الوظيفة اليومية لكل واحد منهما قطعيتين ونصف قطعة\* ومن الخبز رغيفين ومن الطعام قصعة والجراية السنوية أردبين من الحنطة النقية<sup>١</sup>.

وكانت مكة والمدينة تعجان بالحركة ويعمهما الخير مع قدوم الحجاج إليها والصرة وكانت هذه الصرة عبارة عن محصلة الأموال الموقوفة على الحرمين الشريفين والأهالي ومقدار من الذهب السلطاني، وكان يرسل معها مرسوم يوضح كيفية توزيعها على المستحقين، والخلع الخاصة بأمير مكة هدية من الباب العالي<sup>٢</sup>. وترسل الصرة في موكب خاص هو "موكب الصرة"، ويكلف به موظف مخصوص هو أمين الصرة وهو موظف مكلف من قبل السلطان للإشراف على توزيع الهدايا النقدية والعينية التي يرسلها العثمانيون على المستحقين لها وفق دفاتر خاصة بهذا الغرض<sup>٣</sup>. استمر الخلفاء العثمانيون في إرسال الصرة بشكل منظم بعد فتح الشام ومصر وضم الحجاز حتى زمن السلطان

١ انظر، وقضية خرم سلطان ورقة ١٢ب.

٢ انظر، نص المرسوم الموجه من السلطان محمد الثالث إلى أمير مكة عام ٩٠٦هـ، فريديون بك، المرجع نفسه، ج٢، ص١١٠.

٣ كان توزيع هذه المستحقات يتم في حضور قاضى القضاة بمكة المكرمة وأمين الصرة وكاتبها، وأعيان مكة المكرمة وجمع من الناس، وفي حالة وفاة أحد المستحقين تصرف المستحقات إلى أبنائه، انظر، فريديون بك، المرجع نفسه، ج٢، ص ١١٠.

وفى زمن السلطان عبد الحميد الثانى تم تقديم مبلغ ٢٦٤٠٠٠ قرش منحة لأهالي الحرمين الشريفين لدفع القحط الذي أصابهم سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م. و تقديم مبلغ ١٠٠٠ اليرة عثمانية من أموال السلطان الخاصة، منحة إلي فقراء حجاج المحيط الهندي و التبرع بمبلغ ٢٦٤,٠٢٢ قرشاً كدفعة ثالثة، إلي البدو وأهالي الحرمين الشريفين، لدفع القحط. و منح معونة نقدية إلي أهالي الحرمين المحترمين الكرام قيمتها ٢٦٤,٠٢٢ قرشاً. ترسل فى كل عام مع الصرة السلطانية<sup>١</sup>.

ولما كانت مكة المكرمة قبلة المسلمين فى شتى بقاع الأرض، ومنهم الفقراء فقد تم فى عام ١٣٠٣هـ إنشاء دار ضيافة (مسافر خانة)، وهى عبارة عن بناء مخصص للحجاج والزوار والفقراء. وكانت تكاليف البناء كلها وسائر المصاريف الأخرى، هدية من الخزينة الخاصة بالسلطان عبد الحميد الثانى. ودار الضيافة هذه مبنية من الحجر وتتكون من طابقين، وتتسع لأربعة آلاف شخص، وموقعها فى الساحة الأميرية الكائنة عند مدخل وادي "حفاير"، غرب مكة المكرمة، علي الطريق المؤدي إلي جدة أمام وادي "زاهد". وقد اشرف علي هذه المباني والانتهاء منها، لجنة خاصة من استانبول برئاسة الأميرآلاي أركان حرب منيرباشا. وتكلف البناء ما يزيد علي ٤١٠,٠٠٠ ( أربعمائة وعشرة ألف ) ليرة عثمانية. وقد صد الأمر بأن يتوجه من استانبول، وزير ومعاون وإمام ومؤذن وكل

القائمين علي الخدمة في هذه الدار. كما أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتقديم الحساء واللحم والأرز والخبز ومختلف أنواع الطعام إلي الحجاج والفقراء يوميا<sup>١</sup>.



ومكة المكرمة على مدار التاريخ هي مدار اجتماع والتقاء المسلمين من جميع الأقطار والأجناس لأداء فريضة الحج، مما أدى في أحيان كثيرة إلى انتقال بعض الأمراض المعدية من مناطق بعيدة إلى مكة والحجاز، لهذا كانت الرعاية الصحية وما تحتاج إليه من مظاهر النظافة وتجنب أسباب انتشار الأمراض موضع رعاية الإدارة العثمانية.

ومن هذه المظاهر إنشاء الحمامات العامة، وحسبما تذكر المصادر العثمانية إنه كان يوجد في مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي حمامات عامة وخاصة، وأجملها قاطبة الحمام الذي أقامه صوقللي محمد باشا، وكذا الحمام الذي أقامه سنان باشا فاتح اليمن<sup>٢</sup>، فضلا عن مائة وخمسة وأربعين حماما في القصور والسرايات الخاصة بالأشراف وآل البيت وخدمهم، كما كانوا يعنون بكنس الشوارع الرئيسية وتظيفها، ويرشون أمام

١ محمد الأمين المكي ص ١٤.

٢ عندما زار سنان باشا مكة المكرمة في عام ٩٨٧، أمر بحفر بئر ماء وتوصيل ماؤه إلى الصهريج الموجود عند مسجد التتعيم، وفرش أرضية المطاف بالرخام، وأمر بصنع سبيل وحوض في طريق العمرة وحفر في أماكن بعيدة آبارا عميقة واسعة لملء السبيل والحوض بالماء، وقد اندثرت هذه الأعمال بعد ذلك. انظر، أيوب صبرى، المرجع السابق، ص ٨٨٣.

وقد نالت مكة المكرمة اهتماما صحيا كبيرا خاصة بعد حادث انتشار الكوليرا فى عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥، إذ قررت الدولة العثمانية إنشاء إدارة صحية لملاحظة الحالة الصحية للحجاج ومراقبة سواحل الحجاز، ونظرا لعدم توافر نظام للصرف الصحى فى مكة المكرمة فى ذلك الوقت، وكثرة الحجيج من جميع أنحاء العالم الإسلامى وتكدسهم فى المناطق المحيطة بالحرم المكى وفى الشوارع، وعدم توافر دورات المياه العامة، وقد أدت هذه الأسباب كلها إلى تراكم القاذورات التى تساعد على انتشار الأمراض<sup>٢</sup>، وكانت مسائل النظافة العامة متروكة لأمرء مكة. وفى زمن السلطان عبد الحميد الثانى، شهدت الخدمات الصحية فى مكة المكرمة طفرة وتدخلت الدولة بشكل مباشر للنهوض بالخدمات الصحية<sup>٣</sup>، إذ تم تأسيس إدارة صحية خاصة بمكة المكرمة فى عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥ بغية تأمين راحة الحجاج ومراقبة أحوالهم الصحية<sup>٤</sup>. وقد بلغت النفقات السنوية للإدارة الصحية فى مكة سنة ١٣١٠هـ

١ فى وصف هذه الحمامات ومدى جمالها، يلماز أوزطونة، المرجع السابق، ص ٣٩.

٢ انظر Abdurresid Ibrahim, 20, asrin Baslarinda Islam Dunyasi, yeni asya yayinlari, istanbul 1987, c.2, s.404.

وسيم توثيقه فيما بعد، عبد الرشيد ابراهيم، العالم الإسلامى.

٣ يذكر عبد الرشيد غبراهيم أن الاهتمام بإزاله أسباب انتشار الأمراض أسفر عن نتيجة إيجابية فانقضى حج عام ١٣٢٧ بدون وفيات بين الحجيج، انظر، عبد الرشيد ابراهيم، المرجع السابق، ص

٤ انظر، قاسم عز الدين، حجاز صحية اداره سى، رهبر ضابطه، صحية، قسم ثانى، (دليل القواعد

الصحية) (باللغة التركيبية العثمانية)، طبع استانبول ١٣٣١هـ ص ١١٣

١٨٩٢م، ٤٢٨٧٦٠ قرشا أنفقت على تنظيف الشوارع والمنازل التي يقيم بها الحجاج وحماية المياه من التلوث، وغيرها من الإجراءات الصحية التي نصت عليها اللجنة الصحية التي تكونت في مكة لتنظيم أمور الصحة والنظافة في الحجاز.<sup>١</sup> كذلك تم إنشاء إدارة صحية في منى لتوفير الرعاية الصحية للحجاج، ومستشفى يتسع لأربعين سريراً، وصيدلية. ١٣٠٠هـ (١٨٨٣). إذا كانت منى مصدراً لانتشار الأمراض في موسم الحج بسبب لحوم الأضاحي التي كانت تترك مع مخلفاتها في العراء، فتتلف وتنتسبب في انتشار الأمراض.<sup>٢</sup> كما صدر الأمر السلطاني بالبدء في إضافة طابق ثانٍ إلى مبني مستشفى فقراء المسلمين في مكة. وهو المستشفى الذي أنشئ إحياءً لذكرى السلطانة الوالدة بزم عالم<sup>٣</sup>. وقامت السلطانة الوالدة برتونيال<sup>٤</sup> بإضافة إصلاحات وخيرات كثيرة لمستشفى فقراء المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وأمرت بتوظيف أطباء وقابلة وصيدلاني وجراح، وتوفير كل ما يلزم المستشفى من خدمات<sup>٥</sup>. كما خصصت أموال من وقف السلطان عبد المجيد لدفع رواتب أطباء

١ جولدن صاري، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

٢ انظر، عبد الرشيد ابراهيم، العالم الإسلامي، ج ٢، ص ٤٠٤.

٣ بزم عالم زوجة السلطان محمود الثاني ووالدة السلطان عبد المجيد الأول وكانت قد شرعت في بناء هذا المستشفى الخيري في مكة المكرمة لكنها توفيت قبل تمامه، فاتمه السلطان عبد الحميد الثاني.

٤ برتونيال : والدة السلطان عبد العزيز، وهي أصغر زوجات السلطان محمود الثاني، ونالت لقب "والده سلطان" تكريماً لها بعد جلوس ابنها على عرش الدولة العثمانين، توفيت سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م

جغتاي اولوجاي، ص: ١٢٤.

٥ محمد الأمين المكي، ص ٥٢.



وصيادلة وجراحي المستشفيات، والقائمين على تطهير بيوت الخلاء فى مكة المكرمة<sup>١</sup>.

وقد وضعت الإدارة الصحية للحجاز دليلا للقواعد الصحية سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٤م لمناطق الحج، يوزع مجانا على الحجاج، أوصت فيه بضرورة العناية بنظافة مياه الشرب للحفاظ على الصحة العامة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبالتالى تم وضع ماكينات لتقطير مياه الشرب فى جده وينبع، ومدت أنابيب المياه منها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لتوفير المياه النقية للمدينتين المقدستين. كما اعتتت هذه الإدارة الصحية بدفن بقايا الأضاحى فى منى منعا لانتشار الأمراض. وكان أشد ما يزعج الدولة العثمانية انتشار الأمراض المعدية، مثل الكوليرا والجدرى فى مكة والمدينة خاصة فى موسم الحج نتيجة الزحام وتوافد الحجاج من الهند وجاوه على وجه الخصوص حيث كان مرض الكوليرا يمثل أحد الأمراض المعدية سريعة الانتشار بين الحجاج فى مكة، مما حدا بالدولة العثمانية إلى اتخاذ التدابير الوقائية لمنع انتشار مثل هذه الأمراض، ووضعت اللوائح الصحية لمحاصرتها، وعرفت وسائل التطهير كالتبخير والتطهير بالمواد الكيماوية وكذا الحرص على نظافة مصادر المياه والطرق، ودفن بقايا الطعام، كما عرفت هذه الإدارة التطعيم بالأمصال واللقاحات خاصة ضد الأمراض المعدية مثل الجدرى وأنشأت المحاجر الصحية فى قمران وجدة<sup>٢</sup>.

١ أيوب صبرى، مرآة الحرمين، ج٢، ص ٥٩٢.

٢ انظر، قاسم عز الدين، المرجع السابق ص١١٢-١٣٦.

وكانت الهيئة الصحية التي أرسلت إلى مكة المكرمة في عام ١٨٦٦م تهتم بتعقب أسباب تلوث البيئة الضارة بالصحة العامة داخل مكة وخارجها، وكانت تبدأ بنظافة مكة المكرمة قبل الحج وتبذل طاقتها في تطبيق القواعد الصحية أثناء تأدية المناسك، وقامت بنظافة جميع أحياء مكة وشوارعها ونقلت الحرف والصناعات الضارة بالصحة العامة إلى خارج مكة، وأعدت تجهيز المستشفى ليكون على غرار مستشفيات استانبول، وزودته بما يلزم من أدوات والآلات وأسرة، وأقامت دورات المياه العامة في أماكن متفرقة من المدينة، وجهزت الأماكن المناسبة لدفن بقايا الأضاحي التي كانت سببا رئيسا في انتشار بعض الأمراض، وتم نشر عربات لجمع القمامة وتولى أطباء وموظفو الصحة الإشراف على نظافة الأماكن وخاصة المراكز التجارية والميادين العامة، وكذلك الإشراف على رش الشوارع بالمياه وحمل القمامة والمخلفات الآدمية إلى خارج مكة حفاظا على الصحة العامة خاصة في موسم الحج<sup>١</sup>.

كذلك اهتم العثمانيون بتتمة المنافع الحضارية العامة في مكة المكرمة، إذ تبرع السلطان عبد الحميد الثاني بمبلغ ٥٦٠,٠٠٠ قرشا لتنفيذ خط البرق الكبير من معانٍ إلى مكة المكرمة، والانتهاء من مد خط البرق الكبير من الشام إلى المدينة المنورة، وبناء دار للبريد والبرق من طابقيين أمام مقر الحكومة في مكة المكرمة. وإنشاء خطوط برق سواكن، وأخري من جدة إلى مكة المكرمة والطائف و.

١ حول الحالة الصحية للحجاز في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، والإجراءات الصحية التي اتخذت في عهده، انظر، جولدن صاري يلدز، المرجع السابق.

مد خط سكة حديد الحجاز. وفى عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م، صدر الأمر بإرسال لجنة فنية لتنظيم الأحوال الجغرافية ووضع الخرائط للحرمين الشريفين<sup>١</sup>.

كما اهتم العثمانيون بتعبيد وإصلاح الطرق، فأصلحوا الطرق المؤدية إلى جبل ثور على مسافة ساعتين من مكة المكرمة من الجهة اليمانية، وكانت الطرق المؤدية إليه وعرة وغير منتظمة، يعاني فيها الحجاج مشقة بالغة. فتم تعبيده عام ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م) بمعرفة الأمير آلئى أركان حرب منير باشا، ومعاونة إسماعيل حقي باشا والي الحجاز السابق<sup>٢</sup>.

وفى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى، التاسع عشر الميلادى كانت مكة المكرمة عامرة بالمنشآت الحضارية، فكانت تضم سبعة جوامع و٦٨ مسجداً وقلعتين، وقصر حكومى ومحكمة، ودائرة بريد وثكنتان ومستشفى مدنى وثلاث تكايا وأربعين سبيل وحنفية عامة للمياه، وحمامان عامان وثلاثة آلاف دكان، ومطبعة لطباعة الكتب والصحف باللغتين العربية والتركية، وتسعة عشر رباطاً للفقراء، وثلاثين طاحونة للغلال، وست مطابخ خيرية لإطعام الفقراء والمحتاجين، وست مدارس أولية، ومدرسة متوسطة، ومكتبتان

---

١ محمد الأمين المكي، ص ٢٤، مثال ذلك الخريطة التى وضعها القائم مقام اركان حرب السيد محمد صادق للحرم المكى والتقرير الهندسى المرفق بها والخاص بعمل تعميرات للحرم المكى الشريف بتكلفة مقدارها ألفين وثمانمائة وأربعين ليرة عثمانية وذلك فى عام ١٣٠١هـ، ١٨٩٩م، وقد نشره الدكتور محمد حرب، انظر، محمد حرب، المرجع السابق.

٢ محمد الأمين المكى، ص ١٣.

عامتان . دار توقيت، وستين فرنا، وصيدلية، وثلاث وأربعين مكتبا للصبيان، ومدبحان، وثمان معامل أوانى وقوارير فخارية، ومخزن للنقط، ومحجرا صحيا، ومدبغة للجلود، فضلا عن الكثير من المنشآت الخيرية<sup>١</sup>.



ونخلص من هذا العرض للخدمات والمرافق العامة فى مكة فى العهد العثمانى بأن خدمات الحرم المكى الشريف، وأمراء مكة وأشرفها وتأمين سبل الحج والمناسك ومصادر المياه، نالت الاهتمام الأكبر من جانب جميع السلاطين العثمانيين على مدار عمر الدولة العثمانية، كذلك تقديم الخدمات الاجتماعية لأهالى الحرمين الشريفين كان لها الحظ الأوفر من اهتمام العثمانيين، ونالت مكة المكرمة فى زمن السلطان عبد الحميد الثانى المزيد من الرعاية والتطوير لمرافقها العامة وتحديثها وربطها بالعالم الخارجى، وتقديم مختلف أنواع الخدمات الصحية والتعليمية، سواء من خزينة الدولة أو من خزينة السلطان الخاصة، رعاية منهم وخدمة للحرم المكى الشريف، وحبا لأهله وخدمة لحجاج بيت الله الحرام.



١ يلماز أوزطونه، تاريخ تركيا الكبير، ج١٤، ص ٢٩، وشمس الدين سامى، قاموس الأعلام، ج ٦، ص

## المراجع والمصادر

باللغة العربية:

- أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، صححها وعلق حواشيها رشدى الصالح ملحس، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة سنة ١٣٥٢،
- السيد محمد الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية دراسة وثائقية، ط١ ١٩٨٥
- السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ، ط١ القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦.
- أميرة على مداح، النشاط العلمى فى مكة المكرمة خلال العصر العثمانى، جامعة أم القرى ٢٠٠١.
- جولدن صارى يلدز، الحجر الصحى فى الحجاز ١٨٦٥-١٩١٤، ترجمه عن التركية وقدم له عبد الرازق بركات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١)، ط١، ٢٠٠١.
- صابرة مؤمن اسماعيل، جده خلال الفترة من ١٢٨٦-١٣٢٦هـ/١٨٦٩-١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية فى المصادر المعاصرة، اصدارات دارة الملك عبد العزيز ١٤١٨هـ.
- عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدى، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.
- محمد حرب، خريطة لمنطقة الحرم المكى وتقرير هندسى عنها، مقال

- فى مجلة الإدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة عشرة، ربيع الآخر  
١٤٠٨ هـ، نوفمبر ١٩٨٧ م
- محمد على فهميم، مخصصات الحرمين الشريفين فى مصر إبان العصر  
العثمانى، القاهرة ٢٠٠١
- منجم باشى، جامع الدول، مخطوط مودع مكتبة السليمانية أستانبول،  
أسعد افندى برقم ٢١٠٢.
- نجات جويونش، بعض الوثائق عن الكعبة فى القرن السادس عشر،  
بحث مقدم إلى جامعة الرياض، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الندوة  
العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٧.
- وقفية والدة السلاطين ( خُرَّم سلطان) مخطوط مودع دار الكتب  
المصرية برقم ٢٨٦٤ ح، ميكروفيلم ٤٠٤١٢، جارى نشرها.  
باللغة العثمانية:
- أيوب صبرى، مرآت مكة، أستانبول ١٣٠١. وقد تمت ترجمة مرآة مكة  
ومرآة المدينة ومرآة جزيرة العرب إلى اللغة العربية تحت اسم، موسوعة  
مرآة الحرمين وجزيرة العرب، إشراف محمد حرب، الترجمة العربية  
حسين مجيب المصرى وآخرون، دار الأفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٤،
- محمد الأمين المكي، خلفا عظام عثمانيه حضرتلرينك حرمين شريفينده  
كى اثار مبروره ومشكوره همايونلرندن، در سعادت ١٣١٨ هـ، ترجمه  
إلى العربية ماجدة مخلوف، تحت الطبع.
- أحمد فريدون بك، منشآت السلاطين، المطبعة العامرة، أستانبول ١٢٦٤.
- قاسم عز الدين، حجاز صحية ادارة سى، رهبرضاپطهء صحية،  
أستانبول ١٣٣١

- Abdurresid Ibrahim,20,asrin Baslarinda Islam Dunyasi, yeni – asya yayinlari,istanbul 1987
- Hezarfen Huseyin Efendi, Talhisu'l-Beyan Fi Kavanin-I Al-I – Ossman, Hazirlayan Sevim Ilgur, ankara 1998,s
- Ismail Hakki Uzuncarsili,Mekke-I Mukerreme Emirleri, ankara – 1972
- Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskilati, Ankara 1984,s.172.
- agatay Uluçay,Padisahlarin Kadınları ve Kızları, Ankara 1980.
- Mehmet Zeki Pakalin,Osmanli Tarih Terimleri ve Deyimleri – zlugü ,Istanbul 1971.S
- Mustafa Guler, Osmanli Devletinde Haremeyn Vakiflari(xvi-xvii – Yuzyillar) Istanbul 2002
- Nazif Ozturk,Turk Yenilesme Tarihi Cercevesinde Vakif – Muessesesi, ankara 1995.
- Yilmaz Oztuna,Buyuk Turkiye Tarihi, Istanbul 1983–
- Ziya Kazici, Islami ve Sosyal Acidan Vakiflar Istanbul 1985.–

